Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والناشيء تحت جناحك أحق وأولى . . .

وقبل أن ينهي الرسالة لم يفته أن يكاشفه بجهله. وعجزه عن الإجابة لا محالة، وعنده ـ دون سواه ـ فصل الخطاب. . . يقول:

«وقد سألتك، وإن كنت أعلم أنك لا تحسن من هذا قليلا ولا كثيراً[1] فإن أردت أن تعرف حق هذه المسائل وباطلها، وما فيها خرافة، وما فيها محال، وما فيها صحيح، وما فيها فاسد، فالزم نفسك قراءة كتبي ولزوم بابي».

يقول الدكتور شوقي ضيف: «والجاحظ بلغ من سخريته بابن عبد الوهاب ما لم يبلغه كاتب ولا شاعر في اللغة العربية من سخريته بشخص من الأشخاص، والغريب أنه يصل إلى ذلك لا عن طريق السب والشتم والقذف، وإنما عن طريق ما يسوقه من تهكم وسخرية لاذعة بصاحبه[2]. . .

وأقول: إن الجاحظ رمى فأصمى، ولكن لا ترى أثر الجراح.

خيال الجاحظ

كم يفزع الأدباء إلى (الخيال) لتجميل المعنى، وإيضاح الصورة، غير أنهم في أغلب الأحيان لا يركنون إليه إلا إذا عزت عليهم الحقيقة وكثيراً ما تعز عليهم وتطول. . . أما الجاحظ الذي ملك ناصية القول، وخضعت له موسيقى اللفظ فلم تدفعه الحاجة إليه ولم يصطنعه عن ضرورة، ومن ثم لم يسرف فيه إسراف غيره. ، وفيما أثر عنه في ذلك تراه يطالعك بقلبه وعقله وروحه معاً. . . استمع إليه يقول في قتلة عثمان بن عفان حينما ذمروا عليه وعلى أزواجه وهو جالس في محرابه يتلو كتاب الله . . .

(. . . لا جرم لقد احتلبوا به دما لا تطير رغوته، ولا تسكن فورته، ولا يموت ثائره، ولا يكِلّ طالبه، وكيف يضيّع الله دم وليه، والمنتقم له؟ وما سمعنا بدم بعد دم يحيى بن زكريا عليهما السلام غلا غليانه وقتل سافحه،

---

(١) كذا بالأصل، وتقديم الكثير أولى.

(٢) الفن ومذاهبه في النثر العربي (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٤٦ م